الباب الأول
الإسلام والإيمان والإحسان

الإسلام عقيدة وعمل

الإسلام هو الدين الذى رضيه الله لعباده ، وفطرهم عليه وتعبدهم بأحكامه وتعاليمه .

وهو دين لا تستقيم الأمور بدونه ، ولا تستقر الحياة – بمعناها الصحيح – إلا به .

يقول الله عز وجل: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (٣٠) ﴾ [الروم : ٣٠] .

أى لا تبدلوا خلق الله بتغيير دينه الذى أمركم باعتناقه ، فمن غيرّ دينه فقد غير خلقه من إنسان سويّ مستنير القلب والوجه إلى إنسان آخر يشبه القردة والخنازير .

يقول الله تعالى في وصف فريق من اليهود بدلوا دينهم وعصوا رسلهم : ﴿ **فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** (١٦٦) ﴾ [**الأعراف** : ١٦٦] .

والدين معناه الخضوع والطاعة والانقياد والإخلاص لله تعالى .

قال تعالى في سورة البينة : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** (٥) ﴾ [البينة : ٥] .

ومعنى حنفاء : مائلين عن الشرك كل الميل ، منقطعين لله عز وجل .

ومعنى دين القيمة : دين الأمة المستقيمة المعتدلة .

وهذه الآية تدل على أن الإسلام عقيدة صحيحة وعمل صالح ، عقيدة ينعقد القلب عليها فلا تفارقه ولا يفارقها .

عقيدة تقوم على الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره .

وعمل صالح لا رياء فيه ولا غرور ، ولا إفراط فيه ولا تفريط ، ولا ضرر فيه ولا ضرار .

وهذا العمل برهان علىَ صحة الإيمان ، وسلامة الاعتقاد ، فمن ادعى أنه مؤمن

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وهو لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج البيت مع أنه مستطيع ، ولا يحل الحلال ولا يحرم الحرام ، ولا يتقى الله فى شئ فهو كاذب فى مدّعاه بكل المقاييس .

ولذا نجد الإيمان فى القرآن الكريم مقروناً بالعمل الصالح لا يفارق أحدهما الآخر، وهذا أقوى دليل على أنه لا إيمان بلا عمل ، ولا عمل بلا إيمان .

اقرئى أيتها الأخت المسلمة على سبيل المثال قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** (١١٠) ﴾ [الكهف : ١١٠]

واقرئى قوله جل شأنه : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٩٧) ﴾ [النحل : ٩٧]

وقوله سبحانه : ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** (٧٠) ﴾ [الفرقان : ٧٠]

فالإيمان هو الأساس الذى عليه مدار صحة الأعمال وقبولها ،كما أن الأعمال الصالحة شرط فى صحة الإيمان أو هى جزء منه كما يقول كثير من العلماء .

قواعد الإسلام

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بُنِيَ الإسلامُ على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان»(١) .

ومعنى : «بنى الإسلام على خمس»أى أقيم على خمس قواعد أو دعائم أو أعمدة أو أركان ، لا يستقيم إلا بها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ولولاها لانهار البناء كله.

ومعنى هذا أن الإسلام ليس محصوراً فى هذه القواعد الخمس ، وإنما هو بناء شامخ ، واسع فسيح ، أقيم على هذه القواعد ،فمن أداها استطاع أن يؤدى ما سواها من الأصول و الفروع .

وسنتناول هذه الأركان الخمسة بشىء من التفصيل :

الركن الأول : الشهادتان : ومعنى أشهد أن لا إله إلا الله : أقر وأعترف عن علم وإذعان بأنه لا معبود بحق إلا الله .

ومعنى «وأشهد أن محمداً رسول الله » : أقر وأعترف عن علم وإذعان أن محمداً مرسل من ربه بالحق ، وأن كل ما بلّغ عن ربه حق وصدق .

الركن الثانى : إقام الصلاة : ومعنى إقامة الصلاة : تأديتها فى أوقاتها بكامل فرائضها وسننها ومستحباتها .

وهى صلة وثيقة بين العبد وربه ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن ضيعها فقد ضيع الدين .

والصلاة الصحيحة التى تؤدى بخشوع وخضوع وتمسكن وتواضع هى التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ؛ لأنها تكون برهاناً على صحة إيمان صاحبها ، ونوراً يشرق فى قلبه ، فيطرد عنه هواجس النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان الرجيم ، وتمهد له

(١) وفى رواية لغير البخارى تقديم الصوم على الحج .

الطريق إلى لزوم الطاعات وفعل الخيرات .

يقول الله عز وجل : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**(٤٥) ﴾ [**العنكبوت** : ٤٥] .

أى ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه ، كما ورد عن رسول الله ﷺ من رواية موسى بن عقبة ، عن نافع عن ابن عمر .

ونستأنس لصحة هذا الحديث بقوله الله تعالى :

﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [**البقرة** : ١٥٢] .

وقد يسألنى سائل فيقول : لماذا كانت الصلاة دون غيرها من العبادات تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟

وقد أجبت عن هذا السؤال فى كتابى الفقه الواضح إجابة مختصرة فقلت : لأن الصلاة ذكر ، بل هى الذكر الأكبر والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (٢٨) ﴾ [**الرعد** : ٢٨] .

ولا ريب أن القلوب المطمئنة بذكر الله ، مستنيرة بنور الله ، فلا يكون للشيطان إليها سبيل ، لأن الشيطان لا يدخل قلباً قد استنار بنور الله .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً** (٦٥) ﴾ [**الإسراء** : ٦٥] .

ثم إن القلب المستنير بنور الله يرى الأشياء على حقيقتها ، ويرى الحق حقاً فيتبعه ، ويرى الباطل باطلاً فيبتعد عنه .

الركن الثالث : الزكاة : وهى حق معلوم يعطى للفقراء والمساكين وذوى الحاجات من المسلمين ، وفيها تزكية للنفس ، وتطهير للبدن من الأمراض وتحصين للمال من التلف .

روى أبو داود والطبرانى والبيهقى وغيرهم عن الحسن رضى الله عنه وعن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالبكاء والتضرع » .

الركن الرابع : حج البيت: وهو فرض فى العمر مرة واحدة لمن وجد المال الكافى لذهابه وإيابه ، ونفقة عياله ، وكان قادراً على تأديته من غير خوف ولا مشقة بالغة .

وقد فرض فى السنة السادسة من الهجرة ، وقيل فرض فى السنة التاسعة ، وله فضائل كثيرة ومنافع عظيمة لا مجال هنا لذكرها .

الركن الخامس : الصوم : وهو عبادة فيها وقاية للنفس من طغيان الشهوات والملذات عليها ، وفيه تقوية للإرادة وشحذ للعزيمة .

والصوم المفروض هو صوم شهر رمضان فحسب ، لقوله تعالى : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [**البقرة**: ١٨٥] .

هذه هى أركان الإسلام الخمسة ، وليست هذه كل الإسلام كما ذكرت ولكنها منه بمنزلة الأعمدة من البيت .

وذكر العدد فى الحديث لا يدل على الحصر وإنما يدل على أن هذه الخمسة هى أهم الدعائم وأقواها ، فالجهاد فى سبيل الله ركن من أركان الإسلام ، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وبر الوالدين واجب من أعظم الواجبات ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصل من أصول الدين.

وبالجملة كل شعبة من شعب الإيمان تعد أصلاً من أصول الإسلام .

الإيمان : هو التصديق الجازم بكل ما جاء به النبى ﷺ ، وشعبه كثيرة .

يقول رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان» رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

والشعبة هى الصفة الجامعة لكثير من خصال الخير ، وقد سميت شعبة لأنها تتشعب من غيرها ، وغيرها يتشعب منها .

والإيمان هو المنبع والمصب لهذه الشعب ، فكل شعبة تنبع منه ، وإليه تعود وفيه تصب

وهذه الشعب الإيمانية كل لا يتجزأ ، إذا فقد المرء شعبة منها فقدْ فقدَ الإيمان الحق .

ومن هذه الشعب : الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والإخلاص ، والتوكل ، والصبر ، والشكر ، ومراقبة النفس ، وكف الأذى ، وبر الوالدين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك .

وهذه الشعب هى أصول الدين ، لم تختلف عليها شريعة من الشرائع السماوية.

وعليك أيتها الأخت المسلمة أن تتبعى هذه الشعب وتتعرفى عليها لتتمكنى من التحلى بها ؛ حتى تكونى مؤمنة حقاً وصدقاً ، وبالله توفيقك فاستعينى به على تحقيق ذلك فإنه نعم المولى ونعم المعين .

ثمرات الإيمان

وللإيمان ثمرات كثيرة لا تحصى ، ومنها ما يعرف ولا يوصف ، وقد جمعها الله عز وجل فى جزء من آية فقال فى سورة التغابن : ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ ، وهل هناك نعمة أعظم من هداية القلب إلى اليقين وإلى الصراط المستقيم .

ليس هناك نعمة وراء هذه النعمة مستقلة بنفسها ، بل كل نعمة من النعم الدينية والدنيوية ، الظاهرة منها والباطنة ، تابعة لهداية القلب .

ولكن ما معنى هداية القلب ؟

أقول : هداية القلب معناها إدخال الطمأنينة عليه ، وإنزال السكينة بساحته ، واستقرار الرضا فيه ، وتسليمه من الآفات التى تعكر صفوه وتكدر جلوته ، وتخليصه تماماً من الشبهات الجامحة ، والشهوات المنحرفة ، حتى يصبح هذا القلب ربانياً يحب لله ويكره فى الله ، ولا يشتهى إلا ما فيه رضا الله .

وصاحب هذا القلب السليم يجد فى كل ما يصيبه راحة نفسية لا يجدها غيره ، ويشعر بسرور غامر لا يشعر به سواه ، لأنه لا يرى فيما نزل به ؛ من الله تعالى شراً بل يراه منحة ومثوبة معجلة أو مؤجلة ، وكثيراً ما نسمع العوام يقولون : «افتكاره رحمة» ، وهى كلمة يعنون بها أن الله عز وجل إذا ابتلى عبده بمرض أو فقر فقد ذكره فى نفسه ، وكان ذكره من دواعى رحمته به فالمرض فى ظاهره شر ولكن فى باطنه خير كثير لا يعلمه إلا الله ، ولو لم يكن فيه إلا تكفير الذنوب ومحو الخطايا لكفى .

ولا شك أن الصبر على البلاء ، والشكر على النعماء من أجل النعم ومن أعظم المقامات ، حتى قيل : إن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر ، استئناساً بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [سبأ : ١٩] .

فالمؤمن الحق لا يرى فى أفعال الله إلا الخير ، وهو بإيمانه يستطيع أن يحول المحن إلى منح ، وبذلك يريح نفسه من عناء الهم والحزن ، وفى ذلك منتهى السعادة فى الدنيا . وقد بيّن الله لنا الحكمة من تقدير المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض

يقوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ [الحديد : ٢٢ ، ٢٣] .

والمؤمن الحق هو الذى ينتهى به الأمر إلى هذا الثبات العجيب المذكور فى الآية الثانية ، فهو لا ييأس على ما فاته لعلمه أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، ولعلمه أن اليأس طريق إلى الكفر أو هو الكفر نفسه، ولا يفرح بما أتاه من الخير فرحاً يخرجه عن حد الاعتدال ؛ فإن الفرح الشديد بطر وغرور وجهل بناموس الحياه وتقلبات الدهر ، فقد يكون هذا الخير الذى نزل به استدراجاً له ، وقد يكون خيراً فى الظاهر شراً فى الباطن بسبب ذنب اقترفه .

ولنا فى قصة قارون عظة وعبرة ، فقد أعطاه الله خزائن من المال لا يستطيع حمل مفاتيحها إلا العصبة الأشداء من الرجال ، فعتا وتكبر ، وطغى وتجبر ، ووعظه الصالحون من قومه فأعرض ونأى بجانبه ، وقال : إنما أوتيته على علم عندى ، وخرج على قومه يتباهى بنفسه ، ويفاخر بقوته وزينته فأخزاه الله فى الدنيا والآخرة ، وخسف به وبداره الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

وقد نصحه قومه بخمسة أمور هن من أمهات المبادئ التى جاءت بها الأديان السماوية .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة القصص : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص : ٧٦ ، ٧٧] .

وفى آخر قصة قارون يكشف الله اللثام عن حقيقة هامة تعد من أمهات الحقائق التى ينبغى على المسلم أن يضعها نصب عينيه ومنتهى بغيته ، وهى الثمرة المرجوة التى ليس وراءها مطمع ، وهى طلب الجنة أو طلب الآخرة بوجه عام .

يقول الله عز وجل فى ختام هذه القصة : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ [القصص : ٨٣] .

أركان الإيمان

الإيمان : هو التصديق الجازم بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، كما ذكرت من قبل عند الكلام على شعب الإيمان ..

وقد بين النبى ﷺ أركانه عندما سأله جبريل عنه فقال : «الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره» .

فهذه ستة أركان ذكرها النبى ﷺ ، كل ركن منها يحتاج إلى تفصيل ، وسأحاول أن أوجز القول فى هذه الأركان على نحو ما فعلت فى قواعد الإسلام.

الركن الأول : الإيمان بالله : ومعناه الإقرار عن علم وبصيرة بأن الله واحد لا شريك له ، متصف بكل كمال يليق بذاته ، منزه عن كل نقص لا يليق بذاته، خلق الخلق من العدم ، ورباهم على موائد الفضل والكرم ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة .

وهذا الإيمان يقتضى منا أن نفرده بالعبادة والدعاء وأن نعتمد عليه ونثق بفضله مع الأخذ بالأسباب التى بينها لنا فى كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ .

الركن الثانى : الإيمان بالملائكة : وهم أجسام نورانية لطيفة ، لا يتناكحون ولا يتناسلون ، ولا يأكلون ولا يشربون ، ولا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة ، وظيفتهم التسبيح والتحميد ، والتهليل والتكبير وغير ذلك من الوظائف التى أخبرنا الله بها فى كتابه العزيز فى مثل قوله تعالى : ﴿ **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ② فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ③** ﴾ [**الصافات** : ١ - ٣]

وقوله جل شأنه : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [**غافر** : ٧] .

وقوله سبحانه : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫** ﴾ [**الانفطار** : ١٠ - ١٢] .

الركن الثالث : الإيمان بالكتب السماوية : وهى كثيرة أشهرها صحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، والقرآن الكريم الذى أنزل على محمد (عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه) .

ومن المعلوم أن هذه الكتب قد تعرضت للتحريف والتبديل إلا القرآن الكريم فإنه محفوظ بعناية الله تعالى إلى أن تقوم الساعة .

قال تعالى فى سورة الحجر : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [**الحجر** : ٩]

وعلى ذلك فلسنا مطالبين بأن نؤمن بجميع ما جاء فى التوراة التى بأيدى اليهود ، ولا بالأناجيل التى بأيدى النصارى ، ولكن نؤمن بما جاء فيها موافقاً لشريعتنا ؛ لأن الشرائع كلها ذات أصول موحدة ، لا يختلف أصل فى شريعة عنه فى شريعة أخرى .

قال تعالى فى سورة الشورى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [**الشورى** : ١٣] .

الركن الرابع : الإيمان بالرسل : وهم كثيرون منهم من ورد ذكره فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومنهم من لم يرد ذكره ، قال تعالى فى سورة النساء : ﴿ **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)** ﴾ [**النساء** : ١٦٤، ١٦٥] .

والمذكورون فى القرآن منهم خمسة وعشرون نبياً مرسلاً ، فى سورة الأنعام ذكر الله منهم ثمانية عشرة مجتمعين ، وذكر فى سائر القرآن سبعة متفرقين .

يقول الله عز وجل فى سورة الأنعام : ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)** ﴾

[**الأنعام** : ٨٣ – ٨٦] .

وأما السبعة المتفرقون فى سائر القرآن فهم : إدريس ، وهود ، وصالح وشعيب، وذو الكفل ، وآدم ، ومحمد عليهم أفضل الصلاة والتسليم .

وستعرفين أيتها الأخت المسلمة فيما بعد الفرق بين النبى والرسول .

الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر : ويبدأ هذا اليوم بالنسبة لكل فرد بالموت ، فمن مات فقد قامت قيامته كما ورد فى الأثر ، ويظل الناس بعد الموت فى دار البرزخ حتى يبعثهم الله جميعاً فيحاسبهم على أعمالهم ، فمن ثقلت موازينه دخل الجنة ومن خفت موازينه دخل النار .

والإيمان باليوم الآخر يحتم علينا أن نعد له عدة وأن نتزود له بزاد كثير من التقوى والعمل الصالح .

وقد تكلم العلماء عن اليوم الآخر وما فيه من حشر ونشر وصراط وميزان وثواب وعقاب ، وتكلموا عن الجنة وما فيها ، وعن النار وما فيها ، وفق ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فهذه أمور غيبية ليس للعقل فيها مجال ، والاعتماد فى إثباتها على هذين المصدرين : الكتاب والسنة .

فمن أنكر شيئاً ثبتت صحته بما لا يدع مجالاً للشك فهو كافر .

وينبغى أن يكون الخوض فى هذه الأمور السمعية بالقدر الذى تدعو إليه الضرورة وهو ما يتوقف على معرفته سلامة القلب وصحة الاعتقاد .

وسيأتى لهذا مزيد بيان فى هذا الباب إن شاء الله تعالى .

الركن السادس : الإيمان بالقدر : وهو علم الله المحيط بكل شئ ، وقضاؤه الذى لا يرد .

والإيمان به يقتضى الرضا والتسليم ، والصبر والشكر ، والقناعة والزهد عما فى أيدى الغير ، وغير ذلك من الشعب الإيمانية ، فشعب الإيمان – كما قلنا سابقاً – كل لا يتجزأ ، بعضها يتشعب من بعض .

هذه هى أركان الإيمان ، من أتمها ووفى بما لها من حقوق وواجبات فقد ارتقى فى الإيمان إلى أعلى الدرجات وهى ما يسمى بالإحسان .

وفيما يلى تعريف الإحسان وبيان مراتبه ودرجاته بإيجاز .

الإحسان مراتبه ودرجاته

عرف النبى ﷺ الإحسان عندما سأله عنه جبريل عليه السلام فقال : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» . ومراتب الإحسان ثلاثة مجموعة فى قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذاريات : ٥٠] .

فقد قال العلماء : الفرار إلى الله ثلاثة :

الأول : فرار من الكفر إلى الإسلام ، فمن أسلم فهو على المرتبة الأولى من مراتب الإحسان .

الثانى : الفرار من المعاصى إلى الطاعات ، فمن أطاع الله بقدر طاقته فهو على المرتبة الثانية من مراتب الإحسان .

الثالث : الفرار منه إليه كما جاء فى قوله تعالى عن توبة الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ﴾

[التوبة : ١١٨] .

فهم قد فروا من الله إليه ، وطلبوا العفو منه فتاب عليهم وعفا عنهم .

وقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت فإن مت مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول» .

وهذا منتهى الفرار إلى الله تعالى يعلنه المسلم إذا أوى إلى فراشه ليلاً أو نهاراً مستسلماً له معتصماً به .

ومن هنا فرق بعض العلماء بين الإسلام والإيمان والإحسان ، فقالوا : الإسلام مفارقة الكفر ، والإيمان مفارقة المعاصى ، والإحسان جماع ذلك كله .

فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة، وصام رمضان ، وحج البيت فهو مسلم .

فإن سلم اعتقاده من الشبهات وخلص عمله من الرياء والسمعة وأحس ببرد الإسلام فى قلبه فهو مؤمن .

وإن صفت روحه ونقت سريرته ، وملأ حب الله ورسوله شغاف قلبه ، وملك عليه عقله وحسه فهو محسن .

والإحسان على درجات ، أعلاها إحسان الأنبياء ، وأعظم الأنبياء إحساناً إحسان محمد ﷺ .

مسائل عامة تتعلق بالباب

المسألة الأولى فى «لا إله إلا الله»

سألتنى أخت فاضلة عن معنى «لا إله إلا الله» وعن فضلها ، وهل يدخل فى الإسلام من قال : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ، أم لابد أن يقول «أشهد أن لا إله إلا الله» ، وهل صحيح أن من قالها يدخل الجنة ولو بعد حين ، وأحياناً يرى الإنسان شيئا يدعو للإعجاب فيقول : «لا إله إلا الله» ، أو يسمع ما لا يسره فيقولها . فهل عليه فى ذلك إثم أو حرج ؟

أقول : هذه أسئلة خمسة أجيب عنها بإيجاز فأقول :

١ - «لا إله إلا الله» معناها : «لا معبود بحق إلا الله» ، فهو الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، شهد على ذلك هو وملائكته وأولو العلم من أوليائه وأصفيائه وأحبائه، وشهدت بذلك آثار رحمته وبديع صنعه وعجائب قدرته فى سائر ما خلق وبرأ وذرأ .

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

٢ - وأما فضلها فعظيم إلى أبعد حدود العظمة ، فهى أفضل كلمة قالها مؤمن ، بها يحيا ، وبها يموت ، وبها يبعث يوم القيامة مع الآمنين .

يقول رسول الله ﷺ : «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله» . الحديث رواه الترمذى وغيره .

وهى الكلمة الطيبة التى تطيب بها الحياة ، ويسعد بها الأحياء والأموات ، ولعلها المقصودة بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥] .وهى الكلمة التى يثبت الله بها عباده الصالحين فى الدنيا والآخرة ، فتطمئن بها قلوبهم ، وتثبت بها فى ميادين القتال أقدامهم ، وتكون حجتهم عند الموت وبعده فى

دار البرزخ وعند البعث ، وفى الحشر وعند الصراط ؛ وفى الحساب ، وهى مفتاح الجنة .

يقول الله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وهى كلمة التقوى إذا تمكنت من قلب العبد لم تترك فيه آفة تعكر عليه صفو الإيمان أو تكدر جلوته ، إنها الشفاء من كل داء ، من قالها من أعماق قلبه أذهبت همه وغمه ، وأثلجت صدره ، وجعلته عبداً ربانياً لا يجد فى نفسه ميلاً إلاَّ إلى الله ، ولا يبتغى شيئاً سوى رضاه .

قال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) ﴾ [الفتح : ٢٦] .

وقد ورد فى فضل هذه الكلمة الطيبة أحاديث كثيرة سنفرد لها إن شاء الله كتاباً خاصاً .

٣- ولا يكفى أيتها الأخت المسلمة فى دخول الإسلام أن يقول من أراد الدخول فيه : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بل يجب عليه أن يقول : «أشهد» ؛ لأن الشهادة إقرار واعتراف نشأ عن علم وبصيرة .

وقيل : يكفى أن يقتصر على النطق بالكلمة دون أن يقول أشهد .

والراجح هو القول الأول والله أعلم .

٤- ومن قال : «لا إله إلا الله» بلسانه وقلبه ومات عليها دخل الجنة بفضل الله تعالى ورحمته ولو بعد حين ، فقد يموت العبد مسلماً ويكون عليه ذنوب كثيرة فيعذب بها مدة ثم يؤذن له بالخروج من النار إلى الجنة .

يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة

فهى نائلة – إن شاء الله – من مات لا يشرك بالله شيئاً» رواه أحمد ومسلم .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» .

٥- أما من رأى شيئاً فأعجبه فقال : «لا إله إلا الله» يقصد بها الذكر والثناء على الله تعالى فله بذلك أجر ، وأما من قالها استخفافاً بها – والعياذ بالله تعالى – فهو كافر ما لم يتب توبة نصوحاً ، وهذا كشاب يرى فتاة فيعجب بمنظرها فيقول : «لا إله إلا الله» أو «سبحان الله» أو «اللهم صلى على النبى» يقصد بذلك مغازلتها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وأما من سمع كلاماً لا يسره فقال : «لا إله إلا الله» طالباً بها البراءة مما قيل، فإنه لا إثم عليه ولا حرج ، بل له فى قولها أجر – إن شاء الله تعالى – .

المسألة الثانية : فى الفرق بين : شعب الإيمان وخصاله

وتسألنى أخت فاضلة فتقول : أحياناً يقال : شعب الإيمان وأحياناً يقال خصال الإيمان ، فهل هناك فرق بين الشعبة والخَصلة .

أقول : نعم هناك فرق دقيق بين الشعبة والخَصلة ، فالشعبة مجموعة من الخصال لا تكاد تنحصر ، فالصدق مثلاً شعبة تحتها خصال كثيرة تتفرع عنها وتنشق منها ، فلا يكون ، الإنسان صادقاً حقاً ، إلا إذا اجتمعت فيه خصال الصدق كلها ، فمطابقة الأقوال للواقع خصلة ، ومطابقة الأقوال للأفعال خصلة ، والثبات على المبدأ خصلة ، والشجاعة الأدبية فى قول الحق خصلة ، وهكذا كل خصلة تدل على معنى من معانى الصدق تعد منه وتندرج تحته .

والأمانة شعبة تتفرع من الصدق ، ويتفرع الصدق منها ، وتحتها خصال لا تكاد تنحصر ، فرد الودائع خصلة ، والمحافظة على الصلاة خصلة ، وكتمان السر خصلة ، وكل ما يمت إلى معنى من معانى الأمانة من الخصال يندرج تحتها ويلحق بها .

وقد قلنا فى شعب الإيمان: إنها متداخلة يتفرع بعضها عن بعض ، وتنبع كلها من الإيمان وإليه ترد .

وقد سميت شعبة لأنها تتفرع من غيرها ، وغيرها يتشعب منها ، أما الخصلة – بفتح الخاء – فمعناها القطعة من الفضائل أو الرذائل ، إلا أنه قد غلب استعمالها فى الفضائل .

المسألة الثالثة : فى الفرق بين : الملائكة والجن

تقول أخت فاضلة : أنا أعلم أن لله ملائكة لا يعلم عددهم إلا هو ، وأنهم قد خلقوا من نور ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم لا يسأمون من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، وأنهم لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة ، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ، وقد سماهم بعض المفسرين جنّاً لاستتارهم عن الأعين أخذاً من قولهم جنّ الليل أى ستر بظلامه الأشياء . وبلغ الأمر بهم أن عدوا إبليس واحداً منهم ، وقالوا فى تفسير قوله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا** ﴿٥٥﴾ ﴾ [**الكهف** : ٥٥] . أى من الملائكة ، ونحن مطالبون شرعاً أن نؤمن بالملائكة وبالجن وهما على ما يبدو لى صنفان مختلفان وجنسان متغايران .

فما الفرق بينهما ، وهل إبليس واحد منهم ؟ أفيدونا أفادكم الله .

أقول : الجن غير الملائكة قطعاً ، فهم من الملأ الأسفل والملائكة من الملأ الأعلى ، وهم مخلوقون من نار ، والملائكة مخلوقون من نور كما ذكرت ، وهم يتشبهون بالأشكال الحسنة والقبيحة ، **والملائكة لا يتشبهون إلا بالأشكال الحسنة ، فقد كان** جبريل – عليه السلام– يأتى رسول الله ﷺ أحياناً ظاهراً فى أجمل صورة وأحسن منظر .

وإبليس ليس واحداً من الملائكة بل هو من الجن اللئام ، وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا ، ثم أمر إبليس أمراً خاصاً غير الأمر الذى صدر إلى الملائكة أن يسجد لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين .

والدليل على أن الله أمره وحده بالسجود قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ** ﴾ [**الأعراف** : ١٢]

واعلمى أيتها الأخت الفاضلة أن قوله تعالى : ﴿ **إلا إبليس أبي** ﴾ استثناء منقطع بمعنى أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ، كقولنا مثلاً: قام القوم إلا حماراً ، فهل الحمار من جنس القوم؟ . فافهمى ذلك جيداً ، وبالله توفيقك .

المسألة الرابعة : فى الفرق بين : النبى والرسول

أمرنا الله عز وجل أن نؤمن بجميع أنبيائه ورسله على السواء ، فقال جل شأنه فى سورة البقرة : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)** ﴾ [**البقرة**: ١٣٦] .

فما الفرق بين النبى والرسول ؟

أقول : النبى رجل حر من بنى آدم أوحى الله إليه بشىء ولم يأمره بتبليغه ، فإن بلغه فقد أحسن ، وإن كتمه فما عليه جناح ، وما سمعنا أن نبياً كتم شيئاً مما أوحاه الله إليه قد تعلق به نفع لقومه .

والرسول رجل حر من بنى آدم أوحى الله إليه بشىء وأمره بتبليغه .

ومن هذا التعريف لكل منهما يتبين لنا أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً .

وسمى النبى نبياً لأن الله نبأه بأمر عظيم الفائدة عن طريق ملك أرسله إليه أو بطريق الإلهام .

وسمى الرسول رسولاً لأن الله أرسله للناس بشيراً ونذيراً ، يدعوهم إليه ، ويرشدهم إلى ما فيه صلاح أمرهم فى الدنيا والآخرة

المسألة الخامسة : فى سؤال القبر ، وعذابه ، ونعيمه

وسألتنى أخت مسلمة عن كيفية سؤال القبر بالنسبة للمؤمن والكافر ، وكيفية العذاب والنعيم فيه ، وهل يكون للروح وحدها ، أم للروح والجسد معاً؟ وما إلى ذلك من هذا القبيل .

أقول : قد أشرت من قبل فى أركان الإيمان أن الأمور الأخروية ليس للعقل فيها

مجال ، وإنما المعول فى إثباتها على السماع من الشرع ، فما أثبته الله فى كتابه وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام أثبتناه ، وما نفاه نفيناه.

وقد ثبت بطرق صحيحة عن النبى ﷺ أن سؤال الميت فى قبره حق ، وأن العذاب والنعيم فيه حق .

منها ما رواه أبو داود والبيهقى وغيرهما عن عثمان رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل» .

وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا – أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ – لمحمد ﷺ – فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعاً ، ويفسح له فى قبره سبعون ذراعاً وتملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، وأما الكافر والمنافق فيقال له : ما كنت تقول فى هذ الرجل ؟ ، فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له: لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربات بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه» .

أما السؤال عن العذاب والنعيم فى القبر ، هل هو بالجسد أم بالروح ، فإن العلماء قد اختلفوا فى الجواب عنه .

فأهل السنة يقولون : إنهما بالجسد والروح معاً ، غير أن للدار البرزخية حياة أخرى غير الحياة التى نعيشها فى الدنيا ، وهى من الأمور الغيبية التى لا يعلمها إلا الله .

وقيل : إن العذاب والنعيم فى القبر بالروح لا بالجسد ، وهو أقرب إلى الصواب عندى ؛ لأن الجسد قد تأكله السباع ، وقد يحرق ويذرى فى الهواء .

والروح هى التى تشعر بالعذاب أو بالنعيم مادامت قد انفصلت عن الجسد ، وإن كان القول الأول لا يستبعد ، والله على كل شىء قدير ، وهو أعلم بما كان وما يكون وما هو كائن ، نسأل الله أن ينجينا من عذاب الدنيا وعذاب القبر وعذاب الآخرة.